

فرعون حزين !

للاديب - حسين شوقي

كنا نظن أن الآلهة ينعمون بالسعادة الكاملة ، ولكننا نخطئون لأن فرعون حزين برغم أصله السماوي .. أجل فرعون حزين ، لهذا خرج الى السطح الكبير يستنشق نسيم الليل العليل ويلقي نظرة على السماء التي أخذت تتلاّأ أمامه ، وقد بدت نجومها تشاهد الملك العظيم الذي ملاّ صيته أنحاء العالم بأسه وجبروته .. ثم أخذت النجوم تسال : لماذا كان فرعون حزيناً ؟ لماذا ؟ أليس قادراً على كل شيء ؟ ألم يشد نفسه بالأمس رسماً غمماً متيناً يضمن له الحياة الثانية التي سيكون فيها كذلك عاهلاً كبيراً لقرايته الوثيقة بالآلهة آمون وهوروس وشركتهما ؟ لماذا إذن كان الملك حزيناً ؟ قالت إحداهن متفلسفة : لأنه لم يعرف الحب ؛ فتساءلت أخرى : وهل الحب على هذا القدر من الخطر ؟ فأجابته الأولى : أجل ! هو سر الوجود لذلك العالم الأزل وقزينة أهل .. ولكنها لم تتم كلامها لأن نجماً آخر قاطعها قائلاً : وما صورة الحب ؟ وما مآلاته قالت : ليست له صورة ، وما هو بمادة .. لحسن حظ البشر ، لأنه لو كان مادة لا كنتزه الناس كالذهب من زمان بعيد في خزائن بنك فرنسا أو بنك الاحياطى الأمريكى ..

أجل فرعون كان حزيناً لأنه لم يعرف الحب لقد صدقت تلك النجمة في زعمها ، لأن علاقته بمن حوله من الناس لم تكن

ثبت بدا الانسان ، إنه لنى ضلال مبين ، أترون كيف ينوء تحت أثقال الحياة ، ثم يقبل راضياً أن يظل ذلك الحب فوق كاهله ، مع أنه يستطيع أن يلقيه الى الأرض بعزّة واحدة ؟ ولأعد بكم الى حديث الفتى كاسيد ، فقد أرهقته محاكم التفتيش ، فحرّارها الى بارجواى بأفريقيا ، ولم يكده يحوس خلال أرضها حتى أبصر — وبالمولما أبصر — أبصر رجلاً يضم أعواد القصب مرغماً ، وهو يئن من فداحة الألم ، كان يعمل مبتور الساق والذراع ، ولا بد أن يعمل في جد . وإلا فضرّبات السياط — سياط الشركة الأوربية التي تستغله وتستغله — مسلطة فوق ظهره ، ولا يذره غير أسبال قدرة بالية .. وهكذا كان كاسيد ، كلما قلب صفحة من كتاب الدهر ألفها مترعة بالعناء والأذى ، وما أحسب الجدران والسقوف قد اقترفت من ذلك العدوان شيئاً .

لينتر — ومن ذا الذي يود أن يعيش في عالم لا ألم فيه ولا عناء ؟ أليست المرارة القليلة البذ مذاقاً وأشهى طعاماً من السكر الحلو ؟ وهل الشر إلا سبيل للخير ؟ فلعلك لو علمت مبعث الشر لحفقت من هذه الغلواء ، قد خلق الانسان مغلولاً بطائفة من أصفاد المادة ، ولكنه فطر على أن يجاهد في تحطيمها ما استطاع ليصل الى مرتبة الكمال ، ومبعث الشر جيماً هو ذلك الجهاد العنيف الشاق الذي يبذله الانسان في هذه السبيل ، وإذن فليس الشر مقصوداً لذاته ، وإنما هو سلم للصعود الى الكمال .

شوبنهاور — لست أرى إلا أن الانسانية مدفوعة أمام ارادة الحياة دفع الخراف ، ولقد زودتها بحجبتين الرغبات تلب ظهرها وتستجتها على السعى كلما أبطأ بها المسير ، وفي تلك الرغبات سم الانسان الزعاف ، لأنه كلما حقق واحدة قامت في سبيله عشرات ، والحياة لا تمنح أمنية الا كما يلقى الجواد باحسانه الى السائل المحروم ، فهو يضر كثيراً ولا ينفع قليلاً ، لأنه يطيل في أجل يؤسه يوماً آخر .. سرأني شئت تجدد بين الاحياء تنازعا وتنافرا ، حرب ضرورس و قتال طاحن ، وفيهم الحرب والقتال ؟ لكى يقيموا حياة كلها تسب وشقاء أمداً قصيراً من الدهر . فلما أننا أدركنا رجحان العناء على الجزاء ، لعلنا كم نبذل الثمن باهظاً لقاء أنعاس محدودات الحياة هي الشقاء والشقاء هو الحياة ، وجدير بك — أى عزيزى لينتر — أن تنقح من عبارتك بحيث تكون : ليس في الامكان أسوأ مما كان ، لقد كان خيراً لنا ألف مرة ألا نكون ! ومن ذا يحدثنى عن مهزلة

الحياة : فم بقاؤها وما غرضها ؟ ولشد ما يدهشنى على الرغم من ذلك أن أرى الكائنات بأسرها تنشب بالحياة ، وتبذل في حراسها كل ما تستطيع ، كما يماهى ذخردو غناء الألمان يحدث الناس على أن يكتسبوا الأنفاس دفعة واحدة لكي يردوا للحياة كبدًا بكيد ؟

✽

تنت من سقراط في بصر خافض وأدب خاشع ، وبمأنيته أن أطلع قراء الرسالة على حديثهم ذلك ، تنشى أن ينسب القراء الى كاتبه بعضه أو كله ، فطمأنته بأن القراء في مصر على كثير من الذكاء

زكى نجيب محمود

في تحفة التاريخ

قضية ابن العلقمي الوزير

للسيد مصطفى جواد

ذكر بعض أصحاب مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي الاسدي الوزير أنه سمعه يوما يشهد من شعره :

كيف يرجى الصلاح من أرقوم ضيعوا الحزم فيه أي ضياع؟
قطاع الكلام غير سديد وسديد المقال غير مطاع (١)
وقال شمس الدين محمد بن عبد الله الكوفي الواعظ في دولة المستعصم بالله :

يا عصبه الاسلام نوحوا واندبوا أسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن القرات فصار لابن العلقمي
وفي سنة (٦٥٥ هـ) رحل السلطان، هولاكو كان من همدان
نحو العراق، فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاور وزيره مؤيد
الدين ابن العلقمي في ما ينبغي فعله فأشار عليه ببذل الاموال وحثها
اليه مع التحف الكثيرة والاشياء الغريبة والاعلاق النفيسة، فلما
شرع في ذلك ثناء الدويدار الصغير وغيره، وقالوا له ان غرض
الوزير تدبير حاله مع السلطان هولاكو فوافقهم واقتصر على
انفاذ شيء يسير مع شرف الدين عبد الله بن الجوزي (٢) فلما
وصل اليه أنكر ذلك وأرسل الى الخليفة يطلب إما الدويدار
وإما سليمان شاه الايواني، وإما فلك الدين محمد بن الدويدار
الكبير علاء الدين الطبرسي فلم يفعل، وأرسل شرف الدين بن
الجوزي أيضا يعتذر عن ذلك، فسار السلطان حيث شذ نحو بغداد (٣)
قال عبد الرزاق بن القفوطي بعد سقوط بغداد في أيدي التتار ثم
دخل الخليفة المستعصم بغداد يوم الاحد رابع صفر ومعه جماعة
من أمراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسي وأخرج اليهم من

الا علاقة رسمية، بل كانت علاقة السيد بالخدام، استغفر الله! بل
علاقة الاله بالعباد اما زوجه الملكة فهو يحلها ويقدرها ولكنه
لا يحبها لان اقتراانه بها فرض عليه فرضا منذ الحداثة للدم الاله
الذي يجري في عروقها. هي ايضا..

كم يود فرعون ان يحب! ولكن محب من؟ انه يستعرض في مخيلته
نساء القصر... أجل! لقد وجد ضالته! سيحب تلك الجارية الاشورية
الحسنة التي أرسلها اليه ملك آشور في جوار آخر - على سبيل اذنية
تملقا لفرعون وطمعا في كسب صداقته... هي فتاة حسنة يذكر
أنها لفتت أنظاره مرة وهو يجتاز إحدى ساحات القصر... ولم
يكذ فرعون يدعوها حتى كانت الجارية بين يديه ساجدة ترتعد خوفا
أمام العاهل الأكبر! ثم طلب منها فرعون أن تنهض من الارض
ففعلت وهي لا تعرف ان كانت في حلم أو في يقظة... ثم تشجعت
ورفعت نظرها الى ذلك الوجه العلوي الذي قلبا وقعت عليه عين البشر
انه وجه جبل ناعم (غير ما كانت تظنه)... خلعت عليه سياه النبل
الموروث قرون طويلة من العز والسلطان... ثم انقلب منها فرعون
فوضع يده على شعرها الفاحم الجليل وحاول ان يتسم، ولكن تقاطع
وجهه التي قدت مروتها من زمان طويل، منذ الطفولة خاتمة
اذ كان وجه قناعا أكثر منه وجها!

ثم حاول أن يقول لها كلمات عذبة رقيقة معرية... مما نسيه
نحن معشر البشر غزلا، ولكنه لم يتطعم، فقد عي لسانه! فإكان
من فرعون أمام ذلك الا أن أوما الى الجارية في بأس وقنوط
لتصرف موليا عنها وجهه... وأسفاه! ان فرعون لا يستطيع ان يحب،
فالحب للبشر... أما هو فهو اله عابس نحت قلبه من الصوان الأصم

ازجال ابن حنظل

للاديب محمد كامل امين

مجموعة من الزجل الرقيق الرائع تناولت كثيرا من
النواحي الاخلاقية والاجتماعية يطلب من مؤلفه بسنورس
دفيوم، وثمته خمسة قروش ساغا

(١) الحوادث (١) لسيد الرزاق بن القفوطي (سنة ٦٥٥ هـ) والفخري (ص ٢٢)

(٢) أممت دائرة المعارف الاسلامية ثلاثة من أبناء الجوزي: شرف الدين
هذا وجمال الدين عبد الرحمن أخاه وعبي الدين يوسف بن الجوزي أباهما (قتلهم
هولاكو سنة ٦٥٦ كما في المولدات)

(٣) محمد مراد (ص ٧٢) والحوادث الجامعة سنة ٦٥٥ هـ والفخري (ص ٢٤٦).

وطبقات القاضي السبيكي ١١٣:٥٥